

مقرر: نظرية المعرفة

د. جمال نور الدين إدريس

الإلهام والحدس :

● **الإلهام** : لغة: التلقين.

● **قال الراغب في مفرداته:** (الإِلْهَامُ: إلقاء الشيء في الرُّوع، ويختصّ ذلك بما كان من جهة الله تعالى، وجهة الملا الأعلى. قال تعالى: (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) [الشمس/ 8].

● **وعرّفه ابن سينا** : بأنه ما يلقيه العقل الفعال في نفس الإنسان المؤيدة بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية).

- **أما في عُرْفِ الصوفيّة:** هو النفط في الرُّوع ، والإيقاع في القلب من العلم غير القائم على الاستدلال والنظر).
- **وظهور هذا العلم لدى الإنسان يسمّى :** إشراقاً ، وكشفاً ، وذوقاً ويسمون الموطن الذي يقع فيه الإلهام ويظهر فيه الإشراق بالبصيرة ويعتبرونها إحدى مصادر المعرفة.

- **الحَدْسُ**: الظنُّ والتَّخمين. يُقال: هو يَحْدُسُ بالكسر، أي يقول شيئاً برأيه وهو كذلك السرعة في السير.
- **اصطلاحاً**: في اصطلاح القدماء: سرعة الانتقال من معلوم إلى مجهول.
- **قال الجرجاني**: **الحدس**: هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب.
- **الحدس في الفلسفة المعاصرة**:
- **ديكارت**: عمل عقلي يدرك به الذهن حقيقة من الحقائق يفهمها بتمامها في زمان واحد.

- **شوبنهور:** معرفة حاصلة في الذهن دفعة واحدة من غير نظر واستدلال عقلي.
- ومن الفلاسفة المعاصرين الذين تبنوا الحدس مصدراً للمعرفة الفيلسوف الفرنسي: هنري برجسون والحدس عنده : عرفان شبيه بالغريزة عند الحيوان ينقلنا إلى باطن الشيء يطلعنا على ما فيه من طبيعة مفردة لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ.
- **الفرق بين الحدس والإلهام:**

- يرى ابن سينا أن الحدس ثمرة الإلهام (فالإلهام هو ما يلقيه العقل الفعال في الإنسان والحدس قبول هذا الإلهام.
- والكشف الصوفي والحدس متفقات تقريباً - عند الفلاسفة - في طبيعتهما ، التي تتمثل في المعرفة المباشرة دون استناد إلى التجربة والاستدلال ، لكنهما يختلفان بعد ذلك:
- فالكشف: يتعلق بملكة مغايرة للعقل أسمى منه ، تكون هي مهبط الإلهامات.

- **أما الحدس :** فإنه يتمّ بالعقل – عند بعضهم – بيد أنه يختلف عن المعرفة الاستدلالية بأنه معرفة مباشرة.
- **والكشف :** عند الصوفية – لا يتم إلا بعد رياضة روحية وتصفية ، يتمّ بها جلاء البصيرة لتلقّي الأنوار.
- **أما الحدس :** فلا يحتاج ذلك دائماً عند العقليين.
- هذا بالنسبة للحدس بمعناه العام في الفلسفة ، أما الحدس **عند برجسون**، فإنه أقرب إلى الكشف الصوفي فقد جعله مبايناً للعقل.

،ثمّ إنّهُ جعل ميدانه الميتافيزيقا وهو مناط الكشف عند الصوفية.

● **إلاّ أنّ الحدس عند برجسون** : معرفة منبعثة من داخل الإنسان لم تأت من خارج.

● **بينما يرى الصوفية** : أنّ الإلهام إفاضة الله من علمه الأزلي على العبد ، أو هو ارتقاء العبد وانكشاف الحجاب أمامه ليطلع على اللوح المحفوظ فيعرف فيه حقائق الأشياء.

- **الإلهام** : للصوفية في مصدرية المعرفة مصطلحات عديدة ضمن دائرة الإلهام مثل:
- **الإشراق**: هو «ظهور الأنوار العقلية ولمعائها وفيضاتها على الأنفس الكاملة عند التجرد عن المواد الجسمية».
- **والكشف**: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا.
- **أما الذوق**: **في معرفة الله**: عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب، أو غيره.

● **أما البصيرة:** فهي مصدر المعرفة في الإنسان الصوفي ، وهي : (الملكة التي ترى حقائق الأشياء وبواطنها ، كما يرى البصر ظواهر الأشياء المادية ، وهي مورد الإلهام وموطن الإشراق ومصدر الكشف والذوق).

● **المعرفة الإشراقية وأصولها عند متصوفة المسلمين :**

● **مصدرية البصيرة للمعرفة عند الإشراقيين:** لا ينكر الإشراقيون قيمة المصادر الأخرى للمعرفة؛ بل يعترفون بها ولو نظرياً .

- لكن ميادين المعرفة أوسع من أن تكون تلك المصادر كافية فيها فيما قدمته من معرفة ؛ لأنّ تلك المصادر:
- **إما أن تكون محدودة** : العقل والحس.
- وإمّا أن يكون مطلقاً غير محدود وهو الإلهي إلى الأنبياء يأتي بقضايا كلية.
- لهذا لم يكن هنالك غناء عن جلاء البصيرة والكشف في ذلك الميدان – ميدان العالم الغيبي.

- **فالبصيرة :** هي المصدر الوحيد الذي يستطيع معرفة أسرار العالم الغيبي التي لم يتعرض لها الوحي والحس لا يصل إلى حلها والعقل بموازينه ومقاييسه عاجز كل العجز عن الوصول إلى حلها.
- **ميدان المعرفة الإشرافية عند الإشرافيين :**
- **المعرفة الإشرافية تتجاوز في وضوحها وإحاطتها مرامي المصادر الأخرى للمعرفة.**

● لقد كتب فاطر السموات والأرض نسخة العالم في اللوح المحفوظ وسطر فيه حقائق الأشياء كلها ، وقلب العبد كالمرآة أمام هذا اللوح ، فإذا ما جُلي وأزيل منه صدأ الشهوات والعوائق أصبح قابلاً لانعكاس حقائق اللوح المحفوظ عليه ، فتفجّر فيه العلم عندئذٍ - كما يقول أبو حامد الغزالي.

● ومن دقائق ما تتفرد البصيرة بمعرفته لدى الإشرافيين : حقيقة الذات الإلهية، وحقائق الأسماء والصفات،

وتعلق فعل الله بخلقه، وحقائق اليوم الآخر والروح،
والملائكة، حيث يرتفع الإشراقي إليها، فيندمج فيها
ويتفاعل معها تفاعلاً تاماً.

● **طريق الوصول:** يقوم المنهج الإشراقي في تحصيل
المعرفة على مبدئين:

● **الأول:** اعتبار الجانب المادي من الإنسان عائقاً للروح
عن التسامي إلى الملكوت الأعلى وتحصيل العلم.

● **الثاني:** النظر إلى الحواس، والعقل، والعلم، والقياس، والاستدلال، والنقد، والتحليل - مع الاعتراف بإيصالها إلى معرفة محدودة - على أنها تقف حاجزاً منيعاً ، وحجاباً يحول بين الإنسان ومعرفة الحقيقة، معرفة يقينية؛ لأنّ تلك المصادر تربط الإنسان بالمادة خلافاً للمعرفة الكشفية، التي تسمو به إلى الروحانيات، وما وراء الطبيعة.

● ومن هُنا؛ فإنّ البصيرة لا تعمل عملها في تحصيل الحقائق إلا إذا قضى على : الماديّة، وأميتت الحواس الظاهرة، وأوقف العقل ومناهجه الاستدلاليّة.

● وعلى ضوء التّطبيق العملي لهذين المبدأين ، يقوم الإشرافي :

● بالاستغراق التأملي، وتعطيل منافذ المعرفة الحسية وطرقها الاستدلاليّة، ويأخذ نفسه - كما يقول إمام الإشرافيين أفلاطون- بالعلم والعرفان والتّفكر حتى تتفجّر بالحكمة وتدرّ عليه اللذات العلى ... فيصبح المرء قدسياً وعادلاً وحكيماً).

• ويتمُّ هذا في الفلسفة الهندوكية عن طريق (**النَّرفانا**) :
أي : الإمحاء والتلاشي ، أو ما يسمّيه متصوفة
المسلمين بالفناء الذي يستطيع به البرهمي في
الهندوكية أن يحقق وجوده في (**آتمان - إبراهيم، أو
الله**) ، فيحقُّ له عندئذٍ أن يقول: (أنا إبراهيم، أو أنا
الله) وينطوي إذ ذاك على علم الإله) .

• **خلاصة القول:** إنّ المعرفة الإشرافية لدى الإشرافيين
أسمى من المعرفة الحسيّة ومن المعرفة العقلية؛ لأنها
علم يقينيّ بحقائق الملاء الأعلى، أو عالم المثل ، أو
حقائق الوجود كلّها .

- وأنه لذلك لا يمكن الحصول عليها بسهولة إلا بتصفية النفس، وقطع العلائق، وإقفال حجب الحسّ والعقل، والغيبة الكاملة عن هذا العالم، والتأمل الصّرف في الحقيقة، وطلبها بإلحاح، وهُنا تشرق أنوار المعرفة في البصيرة.
- هذا منهج الإشرافيين عموماً ، أمّا المتصوفة في الإسلام: فمنهجهم في هذا الشأن أكثر تحديداً وأوسع أبعاداً .
- حيث يتمثل منهجهم في معراج رُوحِي طویل يسلكه الصوفي مستهدفاً المعرفة في النهاية، ويسمّى: سالكاً.

• ويتكون هذا المعراج من :

- مقامات عديدة – تختلف الطُّق الصوفيّة في عددها - يتدرج فيها السالك من مقام إلي مقام . [التوبة ، الورع ، الزهد] ، ومن أحوال يمر بها أثناء ترقّيه في المقامات . [القرب ، المحبة ، الخوف ، الرجاء]
- ومن أصول هذا المنهج ضرورة اتخاذ مريد السلوك شيخاً هادياً ومرشداً يُسَلِّمُهُ نفسه تسليماً كاملاً ، ويطيعه ، ويتابعه على كل حال .
- وينتهي هذا المعراج بالسالك إذا قام بحقه في التأمل

الباطني، والمجاهدة والرياضة إلى اليقين ومشاهدة الحقائق على ما هي عليه ، دفعة، أو قريباً من ذلك.

● أصول المعرفة الإشرافيّة عند متصوفة المسلمين :

● المعرفة الإشرافيّة الإلهاميّة ليست خاصّة بالصوفية الذين وجدوا في البيئة الإسلاميّة بعد ظهور الإسلام ؛ بل هي مشتركة بين من يُسمّون بالإشرافيين الذين وُجِدُوا في أُمم كثيرة :

- 1- ففي الفلسفة اليونانية كان رئيس الإشرافيّين أفلاطون كما أنّ رئيس المشائين أرسطو.
- 2- والبراهمة عند الهندو يمثلون طبقة الإشرافيّين القادرين على معرفة الغيب عن طريق البصيرة.
- 3- وكذلك الكهنة عند قدماء المصريين.
- 4- وكان في المسيحيّة قديسون إشرافيون مثل: أوغسطين أمّا في الإسلام فأصحاب هذا النمط من المعرفة هم : الصوفيّة.

- **مصدر التصوف:** اختلف الباحثون في مصدره :
- فبعضهم يرجعه إلى أصول خارجية: هندية أو مجوسية، أو أفلاطونية، أو نصرانية.
- وآخرون يعودون به إلى أصول إسلامية.
- **الرأي الأول :** يستند أصحابه إلى الأدلة التالية:
- 1- التشابه الكبير بين منهج الصوفية وبين منهج الاتجاهات الإشرافية لدى تلك الأمم.

- 2- اتخاذ بعض الصوفيّة كبار الإشرافيّين القدماء أئمة لهم كما يقول **السهروردي** عن الفارسيّين الذين يعتمدون في حكمتهم على الذوق والكشف: (أولئك هم الفلاسفة حقاً ما وقفوا عند حدود العلم الرّسمي؛ بل جاوزوا إلى العلم الحضوري الشّهودي).
- 3- تجاوز بعض الصوفيّة من ذوي المقام في المذهب حدود الشريعة بارتكابهم نتيجة تصوفهم ما يتناقض مع مطالبها، وترفضه العقيدة الإسلاميّة.

- **الرأي الثاني :** وأصحاب هذا الرأي يبتغون إثبات شرعية منهج التصوف – وفي مقدمة هؤلاء الصوفية أنفسهم – ويستندون إلى الأدلة التالية:
- 1- ما ورد في القرآن والسنة من نصوص تحت على الزهد والإقبال على الله.
- 2- منهج الرسول ﷺ في زهده ومنهج صحبه وتابعيهم من العكوف على عبادة الله والإقبال عليه.

- 3- ويستندون في منهجهم في المعرفة إلى بعض الآيات القرآنية من مثل قوله تعالى: [إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (29)] الأنفال.
- 4- ويستندون إلى حديث الرسول ﷺ (لقد كان فيمن كان قبلكم ناسٌ محدِّثونٌ من غير أن يكونوا أنبياءً، فإن يكن في أمتي أحدٌ فإنه عمرٌ) للشيخين).
- 5- كما يستندون إلى تحنُّث الرسول ﷺ في غار حراء قبل البعثة.

- الرد عليهم فيما تأولوا من الآيات والأحاديث : فالآيات القرآنية التي ذكروها دليلاً على المعرفة الكشفية تعسفوا في تفسيرها على ما لا تحتمله:
- فقله تعالى: [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)] العنكبوت. يعني: نوفقهم لسلوك الصراط المستقيم ونبصرهم طريق السعادة في الدنيا والآخرة – ابن كثير.

● وقوله سبحانه: **[إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (29)]** الأنفال، قال ابن كثير: (فرقانا : مخرجاً وفصلاً فإن من اتقى الله بفعل أو أمره وترك زواجه، وفق لمعرفة الحق من الباطل)، وليس في هذا إثبات للكشف والإلهام.

● أما قوله تعالى: **[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (75)]** الحجر . فمعناها : آيات للمتفكرين الناظرين المعبرين في الأمر ، فالتوسم - كما يذكر الشوكاني - التثبت والتفكر ، وقيل : للمتفرسين الذين يعرفون الناس بالتوسم.

- فالآية تدل على التوفيق والتبصر في الدين والدنيا بأي طريق كان وليس خاصاً بالكشف.
- وعلى تفسير التوسم في الآية بالفراسة، وعلى اعتبارها إلهاماً؛ لأنها تُطلق على المعرفة المتعلقة بنوع تحصيل واكتساب، كما تُطلق - أيضاً - على الإلهام، فإنّها تكون دالة عليه، وقد ورد ما يؤكّد هذا فيما روي عن الرسول ﷺ «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ».

- **وقرأ {إنَّ في ذلك لآياتٍ للمتوسِّمينَ} [الحجر: 75]**
أخرجه الترمذي، وفي هذه الحالة يُقال ما قيل في الآيات السابقة إنَّ الله تكفل للمتقي بالمخرج وجعل الفرقان ونحوه، ويكون ذلك بأن يمهد له الأسباب التي أجرى عليها نظام الكون، ويخرق له العادة.
- وأما حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- السابق، فهو ثابت في الصحيحين، وقد فسَّر العلماء التَّحديث الوارد في الحديث بأنَّه الإلهام: (**وَمَنْ أُلْقِيَ فِي رُوعِهِ شَيْءٌ مِنْ قِيلِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى فَيَكُونُ كَالَّذِي حَدَّثَهُ غَيْرُهُ بِهِ** وهو الذي ألهم بالصواب الذي يلقي على فيه).

- وقد وقعت حوادث من هذه الكرامات المتمثلة بالإلهام لبعض الصحابة مثل:
- إخبار أبي بكر-رضي الله عنه- بأنّ ما في بطن زوجته أنثى.
- ومناداة عمر بن الخطاب وهو بالمدينة قائد جيشه سارية بأرض فارس وقال له: (يا سارية الجبل). ومثل موافقته القرآن في مسائل جاء بها الوحي وفق ما اقترح كما في طلبه من الرّسول ﷺ عدم الصلاة على المنافقين، وتحريم الخمر، والتزام النساء الحجاب وغيرها.

● وكما روي عن عثمان - رضي الله عنه - أنه أنكر على داخل عليه النظر إلى المرأة الأجنبية؛ لأنه فعله وهو قادم عليه فلما سئل عن ذلك أشار إلى فُراسة المؤمن.

● وقد أثبت العلماء من خلال هذه الأحاديث كرامات الأولياء في أمة محمد ﷺ وهي نوعان :

● 1- نوع من باب العلم.

● 2- نوع من باب القدرة.

• وما كان من باب العلم: (فَتَّارَةٌ بَأْنُ يُسْمَعُ الْعَبْدَ مَا لَا يَسْمَعُهُ غَيْرُهُ. وَتَّارَةٌ بَأْنُ يَرَى مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ يَقْظَةٌ وَمَنَامًا. وَتَّارَةٌ بَأْنُ يَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُ غَيْرُهُ وَحَيًّا وَالْهَامًّا أَوْ أَنْزَالَ عِلْمَ ضَرُورِيٍّ أَوْ فِرَاسَةٍ صَادِقَةٍ وَيُسَمَّى كَشْفًا وَمُشَاهَدَاتٍ وَمُكَاشَفَاتٍ وَمُخَاطَبَاتٍ)

• أما مسألة تحنثه ﷺ قبل البعثة فليس فيه دليل على شرعية التصوف منهجاً لاستمداد الإلهام ؛ لأنه من عمل الرسول ﷺ قبل البعثة وليس في عمله السابق عليها تشريع إلا إذا تم تأييد ذلك بعد البعثة والثابت أن رسول الله - ﷺ ترك ذلك بعد البعثة كما أن تحنثه لم

يكن المقصود منه خرق الحجب واستقبال الفيوضات وإلاّ
لما رَعِب عند نزول الوحي عليه.

● **والخلاصة** أنّ أدلة المحتجين بشرعية الإلهام وإنّ لم
تقبل كلّها من ناحية دلالتها عليه ، إلاّ أنّه لا منازعة في
أنّ الإسلام يقرّ بالإلهام مصدراً للمعرفة بشروطه على
ما سنرى.

- الإلهام في الإسلام :
- للإلهام المعترف به في الإسلام شرطان :
- شرط في ذاته
- شرط في مدعيه
- أمّا الشرط المتعلق بمدعيه:
- فهو الالتزام الصادق بالشرع الإسلامي عموماً في منهجه في الحياة وفي سلوكه؛ لأن الإلهام دليل تولى الله للعبد والله لا يتولى إلا الصّالحين. وقد أخطأ كثير من الصوفية حين جعلوا وسيلة الإشراف الفكري لديهم

- عدم الانشغال بالعبادات المشروعة ، حيث يجلس أحدهم خالياً ويكرّر لفظ الجلالة إلى أن يكون الإشراق.
- وقد خالف الصوفية منهج الرسول ﷺ وصحابته عندما جعلوا الهدف المقصود هو المعرفة ؛ والذي حصل للرسول ﷺ وصحابته من معرفة إنما كان منّة من الله تعالى دون استشراف منهم أو جلسات انتظار، وقد وعى هذه الحقيقة بعض الصوفية فحذروا من الانقطاع لهذا الهدف والغفلة عن الهدف الأسمى المطلوب من الشخص ، يقول أبو علي الجوزجاني: (كُنْ طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة فسيبيل الصادق مطالبته

• النفس بالاستقامة، فهي كل كرامة ، ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع، ولا يبالي، ولا ينقص بذلك، وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق (الاستقامة).

• وأما قول بعضهم : إنّ لهم في هذا الشأن أسوة حسنة بالرسول ﷺ حينما كان يتحنّث في غار حراء - قبل البعثة- فقد تبين بطلان الاحتجاج به بحكم أنه ممّا كان قبل البعثة ولم يأتي ما يؤيده كما أنّ القول بهذا التّطلع على استشراف العوالم الغيبية ممّا تبطله ظروف النبي ﷺ بدليل أنه فزع حينما جاءه الوحي؛ بل في هذا

الادعاء تصديقاً لمزاعم المستشرقين الذين يقولون : إن محمّداً كان يتطلّع أن يكون النبي الذي تبشّر به الكتب المقدسة ؛ وأنه اتجه إلى الغار راجياً نزول الوحي، وأنه من فرط استغراقه صار يخيل إليه أنه يوحى إليه.

● وهكذا يكون المنهج والغاية خارجاً عن حدود الشرع الإسلامي.

● **وأما الشرط المتعلق بالإلهام ذاته:** فأن يكون خاضعاً لقواعد الشريعة ونصوصها وذلك بأن يعرض عليها ويوزن بمعيارها فإن كان مأموراً به أو مباحاً قبل، وإلا رد.

● وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه- وهو محدث هذه الأمة بنص حديث الرسول ﷺ، يعرض ما يقع له على ما جاء به رسول الله ﷺ، فتارة يوافقه، فيكون ذلك من فضائل عمر، وتارة يخالفه، فيرجع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبية لما كان رأى محاربة المشركين.

● **قال ابن تيمية** - رحمه الله -: (وهذا الذي ذكرته من أنّ أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسُّنة، وأنّه ليس فيهم معصوم يسوّغ له، أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسُّنة هو ممّا اتفق عليه أولياء الله عز وجل...).

● **يقول الشيخ أبي سليمان الداراني** : أنّه ليقع في قلبي النُّكْة من نكت القوم فلا أقبلها إلّا بشاهدين : الكتاب، والسُّنة).

- وقد ضلّت طوائف من الصوفية رأوا أنّ الولي إذا كُوشف تجاوز مرتبة المطالبة بالالتزام بالشرعية لاستغنائه عنها بمكاشفاته كما روي عن بعضهم: (**من أراد التّحقيق فليترك الشرع والعقل**).
- كذلك ينبغي أن يكون في حدود مفهوم الإلهام الذي هو إفاضة الله شيئاً من علمه على عبده بأيّ طريق من الطرق المذكورة هذا هو الإلهام الذي يتمثل في ذروته وحي الأنبياء.

• أمّا أن يُتجاوز به حدود ذلك ليصبح مشاركاً لله في علمه الأزلي نتيجة الاتحاد أو انطباع ما في اللوح في قلب العارف ؛ فهذا ما لا يقره الدين فهذا رسول الله ﷺ يقول عن نفسه : (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ (50) الأنعام، فإذا نفي علم الغيب عن رسول الله فمن باب أولى عن غيره .

• وقال سبحانه : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ (59) الأنعام.

- وفي الآية ما يدفع أباطيل مدعي الغيب كما يقول الإمام الشوكاني.
- وجاء في قصة نبي الله موسى -عليه السلام - مع الخضر الذي يجعل الصوفية منزلته في العلم الغاية التي يسعون إليها أنه قال لموسى -عليه السلام -: (ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر).

● فالإلهام الحقيقي لا يناقض تعاليم الشريعة الإسلامية وهو فيض من علم الله تعالى وليس تسامياً للملهم بروحه نحو الذات العلية لتستوي مع الباري وتشاركه في علمه، تعالى الله عن ذلك.

● **مصدر الإلهام:** ليس بالمستطاع التيقن بأن مصدر هذا الكشف والإلهام هو الله ؛ ذلك أن الإلهام بحسب مصدره ثلاثة أنواع:

- أ- إلهام من الله - سبحانه - للعبد.
- ب- إلهام من الجنّ، والشیاطین.
- ج- إلهام ذاتي ينبع من النفس ويعود إليها فيتوهمه من الخارج وليس كذلك ويحصل ذلك بالرياضة وتصفية النفس عن الشواغل فعندما تتجرد هذه النفس يتمثل فيها حديثها السابق معاني مجردة تستولي على حواس الجسد محاكية بذلك نفس النائم ؛ حينما يرى الرؤية التي هي حديث النفس.
- وإذا كان مصادر الإلهام متعددة كما ذكرنا فهذا يجعل

● الذي الذي حصل له الإلهام لا يتيقن المصدر ؛ لأن الشيطان قد يقذف في النفس وحيه وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لِعَيَّلَانَ بْنِ سَلَمَةَ وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ لَمَّا طَلَّقَ نِسَاءَهُ، وَقَسَمَ مَالَهُ بَيْنَ بَنِيهِ: **إِنِّي لَأَظُنُّ الشَّيْطَانَ فِيمَا يَسْتَرِقُ مِنَ السَّمْعِ سَمِعَ بِمَوْتِكَ، فَقَذَفَهُ فِي نَفْسِكَ).**

● **ودليل ذلك من الواقع:** التناقضات التي يخبر بها أولئك عما ألهموا به أو كُشف لهم وكلهم يدعي أنه من الله.

● بل إنهم يعترفون بأن الكشف تابع للفكرة التي تكون مستولية عليهم حال التصفية وإن كانت مخالفة للشرعية كما حدث **للشيخ السرهندي، وشيخه عبد الباقي الدهلوي** الذين استولت عليهما فكرة وحدة الوجود؛ ولكن التوفيق أدركهما فرجعا عنها.

● ولهذا فإن طبيعة المعرفة الإلهامية لا يمكن أن ترتقي إلى مرتبة اليقين في تحديد مصدرها؛ وبناء على انتفاء اليقين في مصدره ينتفي بلوغه مرتبة العلم اليقيني بدون القرائن الرافعة له كما إذا تأيد بالنص الشرعي؛ ومن ثم فغاية ما يفيد هو الظن إذا صدر من مسلم مشهود له بالصلاح .

• ولهذا كان الموقف السليم للعلماء في اعتباره، أو عدمه في مجال الأحكام وسطاً بين من اعتبره حجة بمنزلة الوحي المسموع من رسول الله ﷺ ومن اعتبره خيلاً كما بين ذلك ابن تيمية .

• وخلاصة ما سبق:

• أن الإسلام أقر الإلهام مصدراً للمعرفة بخصائصه السابقة مع الاحتمال الوارد عليه.

• وأن منهج المعرفة الذوقية الكشفية التي وضع الصوفية قواعده ليس هو التحديث والإلهام الذي أقرته الشريعة، وأنّ الأقرب فيها أن تكون نمطاً من أنماط المعرفة الإشرافية .

- فقد شرح الكندي منهج المعرفة الصوفية في شرحه رسالة: (**القول في النفس**) - لأرسطو وأفلاطون- وقد أيّد آراء أفلاطون وفيثاغورس فيما قرّراه من أنّ النفس إذا صقلت بالرياضة وتطهّرت من التعلّق بالمحسوسات أستطاعت معرفة حقائق الأشياء.
- وكان الحكيم الإشرافي شهاب الدين السهروردي (ت 587هـ) يصف نفسه بأنّه المشائي الصوفي ، يقول الشهروزي : (**إنّه كان جامعاً بين الفلسفة الذوقية الإشرافية ، والفلسفة البحثية المشائية**).

● حكم الإسلام في منهج المعرفة الإلهامية:

● بعد أن عرفنا حكمه في الإلهام لابدّ من معرفة حكم الإسلام في هذا المنهج في المعرفة ، وحكم الإسلام هنا يتناول:

● 1- مقدماتها (المعرفة الإشرافية).

● 2- ويتناولها بذاتها (الكشف).

● فأما المقدمات:

- 1- فإذا كانت مشروعة ومباحة كالتَّعَفُّفِ، والورع، والذكر، وتدبُّر القرآن فهي مطلوبة وحرِّيُّ بمن التزمها أن يفتح الله عليه من مثل أن يُكاشف بما يبشره بخير.
- 2- وإذا كانت المقدمات - كالعزلة والخلوة والتَّخَفُّف من الأكل والشرب- ما لا يترتب منه تفريط في مطلوب الدين ، ولا ارتكاب لمنهي عنه، فإنها تكون مباحة في ذاتها، وقد تُوَدِّي إلى شيء من الكشف الذي يتمثل من خلال هواجس النفس ومدرَكاتها العقلية قبل الاستغراق حيث تتحول إلى معانٍ تتشكل للقوَّة السامعة

- بشكل الأصوات المسموعة وللباصرة بشكل الأشخاص المرئية فيرى صورها ويسمع الخطاب وكله حديث نفس ليس في الخارج منه شيء).
- 3- وإذا كانت المقدمات من الأمور المحرمة في الشرع -مما ابتدع في الدين من عبادات وأذكار وتجويع للنفس وتعذيب للبدن واستتكاف عن تدبر القرآن ونحوه- فهذه مردودة في الدين ولا يمكن أن تكون هذه سبباً لحصول إلهام من الله يكرم به هذا العاصي أو مؤدية إلى كشف مما يتفضل الله به على عباده المؤمنين.

● **وأما الكشف ذاته:** فإنه يعرض على الشريعة فيرد ما مخالفها ويُقبل ما كان متفقاً معها، وإن لم يكن فيه ما يخالف الشريعة ولا ما يتأيد به منها : جاز اعتباره والعمل بموجبه كمن كُشف مثلاً بأن هذا الماء نجس فيجوز له التحويل إلى ماء آخر.

● وبناء عليه فلا اطراد بين المقدمات ونتائجها، فلا يكون الكشف الحاصل لمستقيم المقدمات مسلماً بناء على سلامة هذه المقدمات؛ بل لابد من عرضه على هو على الشريعة. وقد حصل من هذا حوادث لبعض الصالحين فردوها منهم : **أبو ميسرة المالكي وعبد القادر الكيلاني.**

● **أما قول الشاطبي** - رحمه الله - : (إنَّ ما ظهر من الخارقة من استقامة أو اعوجاج فمنسوب إلى الرياضة المتقدمة، والنتائج تتبع المقدمات بلا شك، منتهياً من ذلك إلى أن الخوارق إذا وردت على صاحبها فلا حكم فيها للشرع، وإن فرض أنها غير موافقة له؛ فإنه يقصد الحكم المتعلق بفعل المكلف جوازاً، أو حرمة، ونحوها ممَّا يترتب عليه العقاب في جانب الحرمة مثلاً، وهذا حقُّ فالعبد لا يؤاخذ بما لا اختيار له فيه، وإنما يتعلّق الحكم بالمقدمات التي له اختيار فيها، فإذا التزم الشريعة، وورد عليه، أو كُشف له ما فيه مخالفة

- للشرعية ممّا لا يستطيع له دفعاً فلا حرج عليه في ذلك. يؤيد هذا: أنّ الشاطبي قال في المسألة نفسها: (**مخالفة الخوارق للشرعية دليل على بطلانها في نفسها**).
- **مسائل ذات صلة بموضوع الإلهام**: هنالك ثلاث مسائل ذات صلة بالموضوع :
- **الأولى**: أنّ البصيرة التي هي مصدر المعرفة الإشرافية لدى الإشرافيّين لا تعدو أن تكون ملكة كسائر ملكات الإنسان الأخرى محدودة القدرة والمدى ، ثمّ إنّ هذه القوة لا يمكن أن تتجرّد من التأثيرات الخارجيّة كما اعترف بذلك كبارؤهم، ومفعول الحواس كلياً إذ لا بدّ أن تتأثر مشاهداته برواسب ثقافته السابقة.

- وكان الإشرافيون الإغريق، والمصريون يرون في كشفهم ومشاهداتهم تأييداً لكثير من الأوهام المصرية واليونانية، وأخيلتهم كما كان كثير من الإشرافيين المسلمين تتراءى لهم المفروضات التي افترضها فلاسفة اليونان حقائق ثابتة وموجودات مسلمة .
- ثم إنّ المعرفة المستفادة منها محصورة في الشخص المكاشف لا تتجاوزه إلى غيره وهذه خاصية من خواصها وهي من أكبر أسباب الاختلاف في صحة الكشف وما يخبر به المكاشفون.

● **الثانية :** أنّ الرؤية تتفق مع الكشف في الطبيعة ، قال ابن القيم: (وَالرُّؤْيَا كَالْكَشْفِ، مِنْهَا رَحْمَانِيٌّ، وَمِنْهَا نَفْسَانِيٌّ، وَمِنْهَا شَيْطَانِيٌّ) وقد بين رسول الله ﷺ فيما يتعلق بالرؤيا مصدر المعرفة المنامية فقد روى الشيخان وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: رُؤْيَا مِنْ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فِي الْيَقَظَةِ، فَيَرَاهُ فِي الْمَنَامِ»، فالرؤيا بناء على هذا الحديث ثلاثة أنواع ، وهي أوسع مساحة بالنسبة للحاصلين عليها من الكشف ، وينبغي أن تكون كالكشف خاضعة للشرعية ، وأن يجري عليها ما يجري على الكشف.

● **الثالثة:** إلهام الأنبياء ورؤياهم: ما سبق من الكلام المتعلق بالإلهام والرؤيا ، إنما هو لغير الأنبياء ، أما أنبياء الله - صلوات الله وسلامه عليهم- فإن إلهامهم ورؤياهم وحي معصوم متيقن أن مصدره الله تعالى . قال ابن عباس -رضي الله عنهما: (رؤيا الأنبياء وحي).

● ولهذا أقدم نبي الله إبراهيم -عليه السلام- على ذبح ابنه إسماعيل بناء على الرؤيا التي رآها كما جاء في قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ

تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا
أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ
(104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
(105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ
عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ
عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110))
الصفات، فاستجابة الخليل -عليه السلام- لهذه الرؤيا
وحكمه بمقتضاها إنما لقطعه بأنّها وحي إلهيّ.